درس في الحب

ما إن دق جرس نهاية الحصة الخامسة وخرجت أستاذة الجغرافيا من الفصل حتى ابتهجت الطالبات وبدأن يتهامسن بل إن بعضهن ذهب ليطمئن على عدم غياب الأستاذ نبيل ويذكرنه بموعده لهن أمس .

وما كدن يرونه صاعداً على السلم حتى أقبلن عليه يذكرنه بوعده ، وهو يستمهلهن حتى يدخل الفصل .

الفن وفرويد والحب

قال الأستاذ نبيل وهو يبتسم : أنا أتفهَّم مشاعركن فلقد أصبح موضوع الحب هو المادة الرئيسية للأغانى ، والأفلام ، والأدب ، والفن عامة ، وكأنه لم يعد في الحياة سواه ، فهو الحياة ولا حياة بدونه ! ولقد أثَّر هذا الإلحاح العجيب في الحديث عن الحب على الشباب من الجنسين فلم يعد الشباب يفكر إلا في الحب وليس له طموح إلا لقاء من يحب !!

ولقد ساهم الفكر العفن المتشح بالعلم ، والعلم منه براء في تزكية نار الغريزة بين الجنسين بما أشاعوه من وجوب الاختلاط بين الجنسين بلا قيد ولا شرط ، والزعم أن ذلك يجنبهم العقد النفسية ، والكبت إلى غير ذلك من المصطلحات التي نقلها كثير من علماء النفس دون تمحيص عن فرويد ذلك العالم النفسي الشهير والذي يعد إماماً لكثير من علماء النفس عندنا مع أنه هو نفسه مريض النفس مضطرب الفكر لا يعرف غير الجنس دافعاً للإنسان وكل الناس عنده مرضى نفسيون لديهم مركبات نقص ، وكل أعمال فرويد تحتاج لمراجعة وتصحيح فهي خرقاء هوجاء

تنقصها الدقة العلمية ويغلب عليها التسرع وسوف أقرأ عليكن ما قاله مركز الدراسات النفسية .

وهنا فتح الأستاذ نبيل حقيبته وأخرج عدة أوراق أمسك بإحداها وأخذ يقرأ : " إن تطبيق مبادئ التحليل على كتابات فرويد عامة يبين لنا خوفه من الموت، وهو خوف صرح به في رسائله لخطيبته. في حين تبدى هذا الخوف في كتاباته بالتعجل والغزارة. وهى صفات تدمغ كتابات المؤلفين الخائفين من الموت. فهم يريدون كتابة ما لديهم بسرعة قبل أن يفاجئهم الموت. فإذا ما وجدوا متسعاً من الوقت قاموا بمراجعات قاسية لأعمالهم." .

قالت سارة : ولكن فرويد عالم كبير وشهير ...

– إن تأثُّر كثير من الناس بآراء فرويد في التحليل النفسي ، وبالغرب في الفن والأزياء ، والفكر التحرري الانحلالي جعل المجتمعات العربية مسْخاً مشوَّهاً فلا هي صارت مجتمعاً غربياً بسلبياته وإيجابياته أي بانحلاله وتقدمه العلمي ، ولا هي ظلَّت مجتمعاً عربيًّا بتخلفه وقيمه الأخلاقية ؛ بل ظلَّت على تخلفها وأخذت من الغرب انحلاله فجمعت بين الأسوأين بدلاً من أن تجمع بين الحسنيين !!

مفهوم الحب في الإسلام

قالت عبير : نعود لموضوعنا يا أستاذ من فضلك .

– نحن لسنا ضد الحب العفيف ، ولا ضد الفنون الراقية المهذبة للنفس المحركة للعواطف النبيلة ، الدافعة إلى السعي والعمل والاستمتاع بكل ما هو جميل مباح ، لكن نحن ضد كل انحراف للإنسان عن رسالته التي خلقه الله من أجلها وهى عبادته وتعمير كونه ، نحن ضد إثارة الغرائز الجنسية باسم الفن ، وضد إباحة كل محرم باسم العلم ، وضد كل فساد باسم التقدم والمدنية .

الحب عاطفة أودعها الله تعالى القلوب ، ولا إرادة للإنسان فيها لذا لن يحاسبه الله عليه إنما الحساب يكون على الأفعال والأقوال فمثلاً : إذا أحب شاب فتاة

فليس في ذلك حرمة لكن إن خلا بها من غير مَحْرَم ، وحدثها حديث الهوى فهذا هو الحرام المنهى عنه رُوى عنِ النبي ﷺ قالَ: " لاَ يَخْلُوَنّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، إلاّ كانَ ثَالِثَهُمَا الشّيْطَانُ " [رواه أحمد والحاكم] .

تعالت همسات الطالبات ، وكثرت حواراتهن الجانبية ، فسكت الأستاذ نبيل عن الكلام فسكتن عن الهمس فعاد يقول : " أما إذا أحب شاب فتاة وتزوجها فهذا هو الحب المرغوب فيه الدافع إلى الزواج والذي يعف صاحبه عن الحرام ...

الحب والفقر

سمع الأستاذ شروق تقول لسلمى : وإذا كان لا يزال صغيراً وغير قادر على الزواج فقال : فإذا أحب شاب فتاة ولم يقدر على الزواج بها لضيق ذات اليد فليجتهد في عمله وليعف نفسه عن فعل المعاصي فيرزقه الله من حيث لا يحتسب وييسر له الزواج بها أو بأحسن منها .

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق : ٢-٣]

ويقول النبي ﷺ : " ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ عونهم : المجاهدُ في سبيلِ اللهِ ، والْمُكَاتَبُ الذي يريدُ الأداءَ ، والناكحُ الذي يُرِيدُ العفافَ "

[رواه الخمسة إلا أبا داود]

قالت عبير : وإذا وقعت فتاة في حب طالب لا يستطيع أن ...

– فإن ابتلى اللهُ تعالى الإنسانَ بحب من لا تحلُّ له أو ما لم يقدر على الزواج منها فعليه أن يكتم هواه في قلبه ويخالف هواه في التعلق بها فلا يخالطها ولا يحدثها حتى يصرف الله تعالى عنه هذا الابتلاء ؛ فإن ذلك مما قد يبتلى به المرء ويثاب إن عف نفسه ويحاسب إن أطاع هواه وارتكب المنهى عنه من كلام وخلوة.

فالحب عاطفة نبيلة إذا كانت بين زوجين تعفهما عن الحرام ، والحب حرام إن كان يدفع إلى انتهاك الحرمات ، وانتشار الموبقات .

الفتاة الملتزمة والحب

رأى الأستاذ نبيل خديجة تهمس في إذن سحر بشيء فقال وهو يبتسم : إن الفتاة الملتزمة أستاذة في الحب متفوِّقة فيه على غيرها ؛ لأنها تحب حيث ينبغي أن تحب ، ومتى ينبغي أن تحب وأمسك بإحدى أوراقه وقال : يقول د. عبد الصبور شاهين : " الفتاة المتدينة لا تستخدم الحب سلعة تتاجر بها ، لكنها تدخره عاطفة طاهرة في علاقتها بزوجها ، في فترة حساسة تحتاج إلى المزيد من العواطف لتوثيق الروابط وبناء الأسرة ، ولذلك فهي أبعد الناس عن الحب " السوبر ماركت " الذي يعرض لكل من هب ودب والذي ينتهي غالباً بالاستهلاك والبحث عن جديد ، وينقل أستاذ دار العلوم حديثه من الفتاة المتدينة إلى الشاب الملتزم بأوامر دينه : إنه مثل الفتاة حريص على الأخلاق لأن الفتى والفتاة كليهما له عِرض يحرص عليه ويدافع عنه ويصونه من نزوات العبث وتصرفات المراهقة، وكما أن الفتاة تخشى أن تتعثر قدمها في تجربة تسيء إلى أخلاقها ودينها فكذلك الفتى يخشى أن تعثر قدمه في تجربة لا تعقب إلا الندم فالحب في حياة المتدين عاطفة شريفة وموقف بناء وطريق إلى السعادة الحقة لأنها عاطفة لا تغيب عنها رقابة الله . "[1]

الشباب الماجن والحب والزواج

تناهى إلى سمع الأستاذ حديث بعض الطالبات : الأولاد والبنات يملئون الحدائق والمتنزهات .. كل الشباب لهم علاقات .. إن لم تكن علاقات مباشرة فعلى الأقل علي الإنترنت والتليفون ...

قطع الأستاذ الهمسات بحزم قائلاً : أما الشباب الماجن العابث فإنه لا يعرف للحب الحقيقي طريقاً فقد تاهت قدماه في مغامرات طائشة وعبث ومجون أفسد عليه روحه الطاهرة ، وقلبه الأخضر البريء ، وتعدُّد العلاقات بين الجنسين يعكِّر عاطفة الحب النبيلة بل يفسدها فإذا ما تزوج هذا الشباب بعد ذلك لا يجد الحب

الطاهر مكاناً في قلبه بعدما أفسدته العلاقات المحرمة قبل الزواج ولا يستمتع بهذه النعمة الكبيرة التي يستمتع بها كل مؤمن ادخر حبه لزوجته فتكون زوجته هي كل النساء لأنه لم يفتح قلبه إلا لها ولم تنطق شفتاه بكلمة حب إلا فيها ، ولم تر عيناه سواها فيدوم الحب بينهما ويؤلف الله تعالى بين قلبيهما ويبارك الله لهما ويبارك عليهما ويجعل الله تعالى بيتهما سكناً ومودة ورحمة فليس هناك علاقات فاسدة تطاردهما وتفسد عليهما حياتهما بمقارنتها بالحياة الجديدة ، وعلى العكس من ذلك من أطاع هواه ولم يصرف نفسه عن الهوى ، ولم يغض بصره عن الحرام ، فأقام علاقات مع من لا تحل له وخلا بهن وعابثهن فيصبح قلبه سلعة مستهلكة من كثرة ما تداولته الأيدي فلم يعد يحس للحب الحقيقي الطاهر طعماً فإذا تزوج بإحدى صديقاته القدامى – وهذا نادر ما يحدث إذ أن الشاب لا يقبل أن يتزوج فتاة أقام معها علاقة قبل الزواج فهي عنده غير مصونة العرض ، ولا مؤتمنة على الشرف – فإن حياتهما تصبح جحيماً من الشك والغيرة القاتلة فهو أولاً : لا يأمن على وفائها وإخلاصها له فربما حنَّت لعلاقة سابقة ، وربما ملت حياتها معه وتبحث عن علاقة جديدة فما يمنعها من هذا ولا ذاك مانع ؟ لن يمنعها إلا الخوف من الله والتحلى بالخلق القويم وهو شاهد على عدم اتصافها بهما فقد عصت الله عندما أقامت علاقة معه قبل الزواج وهى غير أمينة على شرفها فقد خانت أباها وأهلها وأقامت علاقة مع من لا يحل لها !

فإذا أقسمت له على إخلاصها فلن يصدقها فقد كانت تكذب على أبيها من قبل لتستر علاقتها به .

قالت روان مازحة : الأولاد لا يتزوجون من أقاموا معهن علاقة .

– وإن تزوج الشاب بمن لم يقم معها علاقة سابقة فإن علاقاته بغيرها تفسد عليه هناءته فكلما تذكر صاحباته ملّ زوجته فهذه كانت بارعة الجمال وتلك كانت خفيفة الظل وثالثة كانت ذات ثراء فاحش .. فتصغر في عينيه زوجته مهما كانت ذات حسن وجمال فما تملكه يد الهوائي تزهده نفسه .

قالت عبير بجرأة : ما هو الحب في نظرك يا أستاذ ؟!

– نحن إذ نتحدث عن الحب فنعنى به هذا الحب الطاهر الداعي إلى الزواج والذي لا يخالف صاحبه الشرع ، وليس الحب العابث اللاهي الذي هو من همزات الشيطان .

–آخر سؤال يا أستاذ .

– تفضلي يا عبير .

– من التي قالت ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾؟ [يوسف:٣٠] وما قصتها ؟

– امرأة العزيز .. سأحدثك عنها في مناسبة أخرى فأنا متعب فقد شرحت ست حصص كاملة اليوم ، والبركة فيكن !!

***